مقومات الهوية عند مولود قاسم نايت بلقاسم

أ/ شويني علي
طالب دكتوراه
جامعة وهران(2)

تاريخ الإرسال:19-06-2018 **تاريخ القبول:29-10-2018**
تاريخ النشر:12-12-2018

ملخص:
لقد كان هدف الاستعمار الفرنسي في الجزائر هدم الهوية الوطنية وطمس معالمها، ويعد مولود قاسم نايت بلقاسم أحد الرجال الذين كان لهم الدور في الدفاع عن الهوية الجزائرية، فعند استعراضه لمفهوم الهوية فإنه ينطلق من فكرة "الإنية"، والتي أخذ مفهومها من الرجل المعلق في الفضاء (الهواء) لابن سناء، ومقومات الهُوية حسب "مولود قاسم نايت بلقاسم" هي الدين واللغة ثم يأتي التاريخ بالإضافة إلى حب الوطن وكل هذه العناصر هي في غاية التداخل والتكامل،من أجل بناء الهوية الوطنية.
الكلمات المفتاحية: - الهوية – اللغة – الدين ، التاريخ- الاستعمار

Astract :
The aim of the French colonialism in Algeria was to destroy the national identity and obliterate its features. “Mouloud Kacem Naît Belkacem” is one of the men who played a major role in the defense of the Algerian identity. When discussing the concept of identity, he stems from the idea of "egoism"; a concept he took from “Man flying” of Avicenna. According to M. N Belkacem the components of identity are Language and Religion, then comes History, in addition to Patriotism, and all these elements are overlapping and integrating in order to build the national identity.
key words : Identity - Language - Religion – History - colonialism

يقول لورد أكتون Lourd Acton " إن الماضي القريب يحوي مفتاح الوقت الحاضر"[1]. إن العملية الاستعمارية وإن دعت في أهدافها إلى التمدن والتحضر والترقية، فهي دون شك، تحمل في نواياها العدوانية والعنصرية والشراسة للمجتمعات، فقد كان هدف الاستعمار الفرنسي في الجزائر هدم الهوية الوطنية وطمس معالمها خلال فترة الاحتلال (1830-1962)، فقد خلف الاستعمار مجتمعاً منهكاً من جميع النواحى، ولكن الجزائر كما هو معروف

أمة ولودة، مثل كل الأمم التي أعطت لشعوبها قادة ساروا بها الى بر الأمان، فقد ظل شعب الجزائر متمسكاً بأصالته، وبكل مقوماته الوطنية رغم كل وسائل القمع، ويعد "مولود قاسم نايت بلقاسم" أحد الرجال الذين كان لهم الدور أيضا في الدفاع عن الهوية " الإنية " الجزائرية بفضل حنكته وحبه للوطن، فقد ظل طول حياته مدافعا عن أفكاره داعيا الى محاولة تجسيدها، كونها تحمل في طياتها ما يبعث بالأمة إلى التقدم ومواكبة التطور، فقد ركز على المقومات للمحافظة على الهوية الوطنية، ودورها وأهميتها في بناء الشخصية الوطينة.

من خلال كل هذا نطرح الإشكالية الآتية: ما هو مفهوم الهوية عند مولود قاسم نايت بلقاسم، وما هي المنطلقات هذا الطرح؟ ما هي المقومات التي تساهم في بناء الشخصية الوطنية ؟

1- مفهوم الهُوية لغة:

فقد اشتقَ مفهوم "الهوية " من الأصل لاتيني وتعني الشيء نفسه، أو الشيء الذي هو ما عليه، أي الشيء له الطبيعة نفسها التي للشيء الأخر.[3]

ويعرفها كميل محمد بقوله "هوية الشيء عينه وتشخيصه، وخصوصيته ووجوده المتفرد الذي لا يقع فيه اشتراك، ومن هنا يمكن القول أن الهوية صفة تعطي للكائن أو الشيء ليعرف بها، وعندما يكون هذا الشيء مع الأخر في كل الصفات يكون لها نفس الهوية[4]. كذلك نجد كلمة الهوية من حيث الدلالة اللغوية كونها كلمة مركبه من ضمير الغائب "هو" مضاف إليه ياء النسبة التي تتعلق بوجود الشيء المعني كما هو في الواقع بخصائصه ومميزاته التي يعرف بها، وهي بهذا المعني اسم الكيان أو الوجود على حاله أي وجود الشخص أو الشعب أو الأمة كما هي بناء على مقومات ومواصفات وخصائص تمكن من معرفة صاحب الهوية بعينه دون اشتباه مع أمثاله[5]

2- مفهوم الهوية اصطلاحا:

يعرفها محمد عابد الجابري بقوله: "مركب تجانس من الرموز والقيم والعادات والتقاليد والأعراف الشعبية التي تحتفظ بطابعها الخاص والاستثنائي، لذلك فهي هوية وطنية قائمة الذات، ولأنها كذلك، فهي تعني إيجاد التطابق أو التوافق أو التوازن بين الكتلة الاجتماعية ديموغرافياً، ورقعتها الجغرافية هي التي تمارس عليها نتاجها الاجتماعي، وتعبر من خلالها عن نفسها عبر نمطها الثقافي الخاص بها"[6]، ومن خلال هذا يمكن أن نعتبر أن الهُوية هي تأصيل لما هو مشترك وجوهري وعام بين أفراد المجتمع، أي السمات والخصائص المشتركة بين أفراد المجتمع الواحد"لا تكتمل الهوية الثقافية، ولا تبرز خصوصيتها الحضارية، ولا تغدو هوية ممتلئة قادرة على نشدان العالمية، على الأخذ والعطاء، إلا إذا تجسدت مرجعيتها في كيان مشخص تتطابق فيه ثلاثة عناصر: الوطن والأمة والدولة."[7]

3- الإستدمار[8] ومحاربة اللغة العربية:

إذا كانت اللغة خاصية إنسانية فهي تمثل أسس الحياة الاجتماعية كونها المنطلق الأساسي في الحفاظ على الهُوية، ولا يخفى على الكثيرين أن اللغة العربية كانت اللغة المستهدفة من طرف الإستدمار الفرنسي، فقد عمل بمختلف الأساليب من أجل تصفيتها وهذا ما تجسد في تقرير الجنرال دوكروDucrot ، إلى نابليون الثالث – على سبيل المثال- " وفيه يقول" يجب أن نضع العراقيل أمام المدارس الإسلامية والزوايا كلما استطعنا إلى ذلك سبيلا "[9]، "وقد شاءت الأقدار أن تتغلب لغة الغزاة على هذه اللغة القومية منذ 1830، وليس هذا بمستغرب،

إذ لا ينكر أحد بأن السيطرة الأجنبية المباشرة كانت شاملة فعملت حيثما استتب لها الوضع على قلب الأنظمة لصالحها"[10] بحيث كان هدف الإستدمار منذ البداية طمس الهوية الوطنية وكانت اللغة العربية هي نقطة البداية، " استهدف الفرنسيون اللغة العربية باعتبارها روحها الحية، ووعاء أنشطتها الثقافية، ومستودع ذكرتها الجماعية والتاريخية، وأهم مقومات وحدتها بعد العقيدة"[11]، فقد جسد الإستدمار كل أساليب القمع " عمدوا إلى السيطرة على الأوقاف الإسلامية، واضطهاد الأئمة والمدرسين وحملة العلم، وحظر إنشاء المدارس، وتجميد استعمال اللغة العربية، وهدم المساجد والزوايا والمحاكم الإسلامية"[12]، ويؤكد الباحثون " أن الذي أضر بالعربية بعد الغزو استعماري ليس هو انخفاض المستوى، بل هو نوع العلاقة القائمة بين الغالب والمغلوب، والمنطق الذي بنيت عليه تلك العلاقات... إن الذي أضر بها هو حرمان الناس من حريتهم وزوال مكانة اللغة كأداة للتعبير الرسمي والاضطراب الشديد الذي حصل في الوسط الاجتماعي والاقتصادي، ذلك الذي يوفر للغة أسباب النماء والتطور"[13]، لكن رغم كل هذا فقد احتفظت الجزائر بلغتها المكتوبة (الفصحى) وبلغتها الدارجة التي تعتبر مجرد لهجات، بل كثيرا ما تستعمل في نوع من الثنائية اللغوية المفيدة في أغراض التعامل والتفاهم"[14].

4- الذاكرة التاريخية للمجتمع الجزائري:

1- مفهوم الذاكرة: هي تراكم ذهني لذكريات متنوعة تغذي التصورات والتخيلات المختلفة، وتلعب دور الإسمنت الذي يجمع بين الأفراد في مجموعة بشرية قد تتسع إلى درجة تُحدث هذا التماسك دون تعارف أو الاحتكاك المباشر، وتسهم هذه التراكمات في توجيه النشاط البشري فرديا كان أم جماعيا "[15]

فالذاكرة التاريخية للمجتمع الجزائري قديمة جدا تواصلت منذ الدولة الأمازيغية الأولى إلى الفتح الإسلامي، والملوك الثلاثة عشر(13) الذين حكموا البلاد، إلى مرحلة الإسباني، فالحيْف التركي، والاستعمار الفرنسي الغاشم[16]. وعبر هذه الحقب التاريخية تكونت صور البطولات والتكامل الانصهاري، وأفضت إلى مجموعة الوقائع المشتركة للهوية الجمعية المستوحاة من ثقافات ومكونات المجتمع الجزائري الموحد بل تحددت الغايات التي يراد تحقيقها، السبل المؤدية إلى تلك الغايات، وتحديد الأولويات ومتطلبات المجتمع والدولة، فكان ذلك من الروافد في بناء المواطن الصالح[17].

ومن خلال كل هذا كانت للغة الدور الأساسي في بلورت كل المبادئ والقيم لبناء الشخصية الوطنية ورسم معلمها من خلال الحفاظ على مكونات المجتمع الجزائري، وهذا ما عبر عنه عثمان شعبوب في قوله: "لا يمكن للثورة الشعبية أن تنجح وتحقق أهدافها إلا إذا كانت اللغة الوطنية فيها تحتل مكانتها الطبيعية، كما أن المضمون الحقيقي للثورة هو تحقيق مقوماتها الشخصية الوطنية، وفي طلعتها اللغة، لأن اللغة هي رمز القومية الرئيسي ويستحيل على أي شعب أن يغير مصيره إلى الأفضل بواسطة لغة أجنبية عنه والشعب الذي يفتقد للغته يفقد حريته واستقلاله" [18]، فقد شكل موضوع اللغة والهوية المحور الأساسي لدى الكثير من المفكرين الجزائريين المدافعين عن اللغة ودورها في تماسك المجتمع بحكم أن كل الحركات الثورية في العالم كانت اللغة هي المحرك الأساسي والمحور الجوهري فهي الهدف الاستراتيجي الثابت الذي لا جدال فيه، وعلى هذا الأساس نطرح سؤال التالي: فما هو مفهوم الهوية واللغة عند مولود قاسم نايت بلقاسم؟

5- الهوية واللغة عند مولود قاسم نايت بلقاسم[19]:

أما مولود قاسم نايت بلقاسم فإنه عند استعراضه لمفهوم الهوية فإنه ينطلق من فكرة الإنية التي أخذ مفهومها من فكرة الرجل المعلق في الفضاء (الهواء) لابن سناء، وقد حاول إسقاطها على الواقع الجزائري خلال فترة الإستدمار الفرنسي حيث يقول "لقد كنا في العهد الاستعماري معلقين في الهواء، بين عالمين منزوعة عنا جنسيتنا الجزائرية، وغير، معترف بنا ولا معاملين كفرنسيين، ومع ذلك كنا كأثر ما نكون اعتزاز بذاتنا، وتعلقنا بمقومات شخصيتنا من دين ولغة وتقاليد وبعيداً عن كل ما يمس منها أو ينال من قداستها، ولقد كنا نقاوم جميع الأمراض الاجتماعية والآفات المستوردة إلينا، الغريبة عنا وكان ذلك بداع من الذود عن هذه الإنية وتلك الأصالة"[20] كما يؤكد مولود قاسم نايت بلقاسم أنه أخذ المصطلح الآنية من ابن سناء وهو ما جاء في قوله: "نفضل على كلمة الهوية، إذن كلمة الآنية من إن المؤكد للذات المثبتة والمأخوذة من الإشارات والتنبيهات لذلك القمقام الكبير الفيلسوف الطبيب الشيخ الرئيس "الحسن أبو على بن سناء"[21]. إذن فإن الإنية هي العنصر الأساسي حسبه فهو يرفض الهوية بحكم أنها لا تعبر عن المقام الأنسب للمفهوم. وعن مفهوم الإنية فهو يقول "وأقصد بالإنية ذلك الوعي الحاد بالذاتية والشخصية، وهي الآنية التي تكلم عنها ابن سناء، والتي تتلخص في كونه كان قد تصور نفسه معلقا بين السماء والأرض، وأن جسمه قد انتزع منه، وفي حكم العدم ولم يبق له في تلك اللحظة، وهو في عالمين إلا ذلك الوعي الحاد بوجوده وشعوره بذاته المتميز، القائمة بذاتها والمتميز عن غيرها"[22]، وهو يجسد من خلال هذا الطرح الصورة على الواقع الجزائري أثناء الاستعمار الفرنسي، فقد ظل المجتمع الجزائري متعلقا بكل المقومات التي تثبت ذاته وانتمائه الأصيل، وقد ظل متمسكا بلغته ودينه ومختلف العادات التي تعبر عن كيان المجتمع.

6- مقومات الهوية الوطنية عند مولود قاسم نايت بلقاسم:

1- اللغة العربية والهوية الوطنية:

من خلال المحاضرة التي ألقاها يوم 24 ماي 1968، تحت عنوان "اللغة والشخصية في حياة الأمم"[23]، ظهر من خلالها تأثره الكبير بالفكر الألماني والمنظور القومي للأمة والوطن من خاصة فيخته Fichte الذي اعتبره مترجماً أيضا وصاحب فلسفة الإنية أو الذاتية التي هي أساس وجود الأمة وأساس شخصيتها، وهذه الشخصية التي تركز على التمسك بالدين والأخلاق وعلى اللغة التي تمثل رمز الأمة إضافة إلى الاعتزاز بالوطن"[24] ومن هذا المنطلق فإن مقومات الهوية للفرد الجزائري حسب مولود قاسم نايت بلقاسم هي الدين واللغة ثم يأتي التاريخ بالإضافة إلى حب الوطن وكل هذه العناصر هي في غاية التداخل والتكامل، فكل منها يكمل الآخر" على أنها غاية في التداخل... ذلك أنه لم يتصور عنصر من العناصر الثلاثة بدون الآخرين بل هي متشابكة ومتكاملة"[25]

إذا كانت اللغة كما سبق ذكرها العنصر الأساسي في تكوين الشخصية الوطنية فقد تجسدت هذه الفكرة بشكل واضح عند "مولود قاسم نايت بلقاسم "فاللغة هي تلك الصورة التي تعطى محتواها لونا، وشكلا، وقوما، فهي المحملة بتلك العناصر المكونة للذاتية، للشخصية القومية، فهي ذلك التيار الذي يبعث الروح في جميع أركان الكيان الوطني، وذلك الإسمنت الذي يضمن وحدة البنيان القومي، والذي بدون تلاحمه لا يمكن أن يكون أي كيان لأمة من الأمم"[26]، فاللغة بهذا المنظور القالب الذي تصاغ فيه جميع الأفكار والأحاسيس التي تشكل

الكيان الشحنة المعنوية، فهو يؤكد القيمة الحقيقة للغة من خلال التأكيد على أنها مقدسة فالقرآن الكريم نزل باللغة العربية لما تحمله من مكانة راقية وهو يشكل بذلك إعجاز للفصاحة العربية في الجاهلية ومعجزة الرسول ρ، فاللغة عنده" هي الطبيعة الإنسانية أي الطبيعة الوطنية المشتركة... هي اللغة، إنها التي تكون الخلية، وتطبع الإنسان بطابعها وتشكله بشكلها، وتؤثر فيه التأثير العميق الذي يجعل منه إنسانا أخر بمميزاته الخاصة به"[27]، فاللغة هي رمز السيادة الوطنية وهي تسير جنبا إلي جنب مع الاستقلال" كما أن الذي يفتقد لغته ينتهي به الأمر إلى الذوبان... وذلك أن اللغة هي القوة الطبيعية الأولى لأمة ما، فهي صدى روحها وأصالتها، وهي لسان شخصيتها والحفاظ لتراثها، والضامنة لاستمرارها الروحي، والرابطة بين أجيالها إلى آخر الأيام"[28] من خلال هذا يدعو مولود قاسم نايت بلقاسم إلى تعريب التعليم على جميع الأصعدة والمستويات، اللغة الفرنسية أصبحت اللغة الغالبة على لسان جميع المثقفين، وعلى هذا الأساس يؤكد على تعريب الأمخاخ قبل تعريب الألسنة كون أن مسؤولية التعريب تلقى على عاتق المثقفين بالعربية، بحكم أن اللغة هي التي تبني الأمة" إن اللغة رمز وجود الأمة، وبقدر أصالة اللغة والمحافظة على اللغة الأصيلة أو فقدانها تكون مجموعة بشرية أمة وشعب أصيلا أو مجرد شتات فحسب"[29] وهذا ما عبر عنه جمال الدين الأفغاني حسب مولود بلقاسم في قوله: "لا سبيل إلى تميز أمة عن أخرى إلا بلغتها، وهذا الأمر من الوضوح والظهور للعيان ما لا يحتاج معه إلى دليل أو برهان"[30]، كما يرد مولود قاسم نايت بلقاسم على الذين يعتبرون أن اللغة العربية لم تعد تصلح اليوم لمختلف العلوم الحديثة بقوله: "أن هذه الضحايا للعهد البائد تدعى أن اللغة العربية قد تجمدت، وتوعكت أعصابها، وشاخت عروقها، ولم تعد في حالتها هذه صالحة لتدريس العلوم الحديثة"[31]، ومن خلال هذا القول فهو يؤكد على قدرة اللغة العربية في مواجهة كل التحديات الحاصلة على المستوى العالمي ومواكبة كل التطورات الحادثة من تكنولوجيا وعلوم، وقد رد مولود قاسم نايت قاسم بلقاسم على النظرة الفرانكفونية التي ترى أن اللغة العربية عاجزة وأنها لغة ضعيفة وقد قسمهم إلى ثلاثة مستويات أو أصناف:

الصنف الأول: وهم الذين يجهلون اللغة العربية ويشككون في عراقتها وعالميتها ومواكبتها التعبير عن العلوم الحديثة" فهؤلاء المثقفون أسميتهم يتامى التاريخ، فهم لا شرقيين ولا غربيين ولا جامعوا بين فضائل هؤلاء، وأولئك إنما منبوذون وممسوخون يجب علينا محاربتهم"[32].

الصنف الثاني: أقل خطورة عن سابقيهم لأنهم لا يعتدون على اللغة العربية بالسخرية والتهكم، وإنما ينظرون لها نظرة شك وريب "ينظرون نظرة الشك إلى العربية ومكانتها بين اللغات العالمية... ويكتفون بسوء معاملتها ووضعها جانبا بنوع من نظرة الشفقة على ذوبانها"[33].

الصنف الثالث: وهم حسبه أحسن من الفئتين السابقتين "هم أحسن نسبيا... فهم الذين رسبت في أعماقهم بذور المستعمر وتأثروا به، وبرز ذلك في سلوكهم، بدون شعور ولانية سيئة، وهؤلاء نجدهم من بين أحسن العناصر الوطنية"

وهو بذلك يرد على كل المشككين في قدرة اللغة العربية على مواكبة العلوم، وهو من خلال هذا يعتبر بأن اللغة العربية كانت لغة العلم وأكبر دليل على ذلك كلمة الجبر التي تعد كلمة

عربية أصيلة وهنا يتساءل هل هذه اللغة من الممكن أن تكون عاجزة وقد كانت لغة العلوم في القرون الوسطى وعصر النهضة، فهي لغة قابلة لاحتضان جميع العلوم.
وقد عمل على وضع برنامج للتلفزة و الإذاعة تمثل فيما يلي[34]:
1- تغليب الفصحى على العربية في نشرات الأخبار وغيرها من حصصها الكلامية، وتغليب هذه الحصص الكلامية على الغنائية
2- إذاعة المسرحيات بالفصحى
3- قراءة كتب ومحاضرات كل يوم بضع صفحات وفي حلقات متسلسلة حتى آخر الكتاب، كما تفعل الكثير من الإذاعات الأوربية.
4- تنظيم دروس بالعربية بمساعدة التلفزة.
"وبدون استرجاع هذا العنصر الهام الذي هو عنصر اللغة، فإن مجهودنا سيظل أبتر، وشخصيتنا ناقصة، وذاتيتنا جسما بلا روح"[35]، فاللغة هي أساس السيادة الوطنية ودونها نبقى نفقد الجوهر الحقيقي لشخصيتنا الإسلامية"، وذلك أن لغتنا هي من أهم عناصر شخصيتنا، ولساننا الذي ينبغي أن نعبر به عنها، وأنها من أهم مطالب شعبنا طول العهد الاستعماري، وأحد الأهداف الأساسية لنضالنا الطويل وثورتنا المجيدة"[36].

2- **الدين الإسلامي رمز الهوية:**

لقد أكد مولود قاسم نايت بلقاسم على أن الدين الإسلامي هو الرسالة السامية التي تؤكد على هوية "إنية" الشعب الجزائري منذ الفتح الإسلامي، كونه السياق التاريخي الذي عبر عن ذاكرة الأمة في شمال إفريقيا والجزائر بصفة خاصة، فمذ أن دخل الإسلام إلى الجزائر تشكل بذلك مجتمع عربي إسلامي، بعد أن أدرك الأمازيغ معاني الإسلام وقيمته الجوهرية وعلى هذا الأساس انصهر العنصر الأمازيغي مع العرب الفاتحون مما أنتج عنصر جزائري أصيل بجميع مقوماته الأمازيغية والإسلامية معا كما أن الإسلام قد شكل الهوية أو الإنية الجزائرية، وهذا ما أكد عليه العلامة "عبد الحميد ابن باديس بقوله " إن أبناء يعرب و أبناء أمازيغ جمع بينهم الإسلام منذ بضعة عشرة قرنا، ثم بدأت تلك القرون تمتزج ما بينهم في الشدة والرخاء...، حتى تكونت منهم في أحقاب بعيدة عنصر مسلما جزائريا، أمة الجزائر، وأبوه الإسلام"[37] لقد كان هدف الإستدمار الفرنسي كما أكد مولود قاسم نايت بلقاسم هو جعل المجتمع الجزائري منحل في هُويته، وكل معتقداته الإسلامية وقد تجسد هذا من خلال عدة صور منها تحويل المساجد إلى كنائس، ومحاربة رجال الدين.
فقد شكلت النزعة الدينية المتمثلة في الإسلام الصمود في وجه الإستدمار، كونه الشعور القوي الراسخ في أذهان المجتمع الجزائري، وهي فلسفة ذاتية تعبر عن أنية مجتمع تمسك بأنيته (هويته) ودحض من خلالها كل الإيديولوجيات التي رسمها المستعمر، يقول مولود قاسم نايت بلقاسم: "لولا الإسلام لما تحرر بلد من البلدان، وبدونه لن يتحرر أي بلد من بلاد الإسلام التي تزال مستعمر في مختلف أنحاء المعمورة"[38]، فالإسلام كان ولا يزال الأساس في وحدة المجتمع الجزائري.

3- **التاريخ والهُوية الوطنية:**

إن الشعب الذي لا يملك تاريخ هو شعب فاقد للهوية والأنية، فالتاريخ روح الأمة وعصب حياتها، "فالتاريخ أحد العناصر الأساسية لشخصية أي بلد وأهم مكونات ذاتِية أي أمة من الأمم"[39] فالتاريخ عصب الأمة كونه يسرد لنا ما خلفه الأسلاف من أفكار ومعتقدات، فالثورة

التحريرية كانت تمثل نضال المجتمع الجزائري من أجل التحرر، فقد شكلت حروفها من ذهب في ذاكرة المجتمع الجزائري والتي لا تزال أثارها إلى اليوم، فالتاريخ يصنع المستقبل من خلال معرفة الحقائق التاريخية وبناء إستراتيجية متينة تؤكد الانسجام الجمعي في أفضل صوره، فالوحدة التاريخية هي التي تعزز الوحدة الوطنية. وتمثل الروح الجامعية للأمة، كما أن التاريخ هو وحده الكفيل بحب الوطن لهذا يدعو إلى إعادة تصحيحه حيث يقول " نأمل أن نصحح تاريخنا ولا يبقى المزور الشاحب، ولا نراعي في الحق أخ، ولا القريب ولا الصاحب، وأن نقلع عن الإهمال والضياع المصاحب، وإلا فكلنا على التاريخ أصبح الباكي الناحب"[٥]

7- الأمازيغية اليوم باعتبارها مقوم للهوية الوطنية:

في خضم الصراع القائم اليوم حول اللغة الأمازيغية في الجزائر، فإن المعطى التاريخ يؤكد على فكرة معروفة وهي أننا أمازيغ عربنا الإسلام" فالذين قبلوا بالإسلام دينا، وبالعربية لغة، هم الذين أعلوا مقام العربية لحمولتها الدينية، فنالت العربية مقام اليد التي تُعطي، فبقت راسخة في شخصية الأمازيغي الذي عربّه الإسلام، وعاش بعزة النفس بأمازيغيته فنال من هُويته الجوهر القائم ضمن الظروف المتعددة التي تصارع فيها الحياة من أجل البقاء، وامتدت هُويته في الزمان وفي المكان ولم تتقلص حجم الذكريات المشتركة وعبر العلاقة مع الآخر"[٤]

فاللغة الأمازيغية كانت جنبا إلى جنب مع شقيقتها العربية وهذا لا ينقص من اللغة العربية في شيء بل يعزز من مقامها ويرفع من شأنها" وتمضي عجلة الزمان بأن المواطنة اللغوية تأخذ بعدها الشامل في وطننا خلال دستور 2016، حيث اللغة الأمازيغية لغة وطنية ورسمية إلى جانب شقيقتها العربية ... لا تصارع بينها وبين العربية، بل تتكاملان في صورة إعطاء المقام الوطني والرسمي"[٤٢]، فالأمازيعية هي مقوم مشترك أساسي من مقومات هويتنا وشخصيتنا "إن الأمازيغية ليست هي القبائلية وحدها وإنما هي معظم اللهجات الإقليمية وإذا أردنا العناية بها، وترقيتها فلنسند مهمتها إلى الباحثين الأكاديميين الذين يعنون بإحياء التراث الصالح منها وترك الفاسد من تراثنا، ولن يكون ذلك إلا بكتابتها بأحرف عربية كي تصبح ملكا للوطن جميعا"،[٤٣] فاللغة العربية هي الحل الأمثل لحل كل هذه الإشكاليات وهي ما دعا مولود قاسم نايت بلقاسم إلى الدفاع عنها وإثباتها، فاللغة العربية تمثل الهوية الحقيقة.

خاتمـة:

خلاصة القول أن الإنية الجزائرية عند مولود قاسم نايت بلقاسم هي كل متكامل (الدين، اللغة، التاريخ)، وهو ما يجعل الأمة تشعر بوحدتها وانتمائها في وعاء واحد، فقد ظل طول مسيرته مدافعا عن هذه الفكرة داعيا إلى النهوض بالأمة وبلوغ أهدافها وإثبات وجودها وفرض شخصيتها بين الأمم، من حيث الانتماء الاجتماعي والثقافي، إذ أن النهضة الثقافية لابد أن تنطلق من مسلمات التراث الثقافي الوطني، المشكل لمقومات الشخصية الوطنية، ولقد كان مدافعا بشراسة على اللغة كونها المبدأ الأساسي للأمة ومعيار إثبات وجودها بين الأمم لأنه لا يمكن أن نحقق الاستقلال السياسي دون أن نحقق الاستقلال اللغوي.

---

[1] مؤرخ وسياسي إنجليزي(1838- 1902) ناشر تاريخ كمبردج الحديث عام 1918.

[2] بشير بلاح، التدافعات الثقافية في الإستوغرافيا الجزائرية 1962-1998، جذورها والعوامل المؤثرة فيها منشورات المجلس الأعلى،ط1، 2017، ص07.

[3] مجموعة مؤلفين، دراسات في القومية العربية، مركز دراسات الوحدة العربية، بيروت، ط1، 1984، ص 18.
[4] كميل الحاج، الموسوعة الميسرة في الفكر الفلسفي والاجتماعي، مكتبة لبنان، ط1، 2000، ص 642.
[5] أحمد بن نعمان، الهوية الحقائق والمغالطات، دار الأمة الجزائر، 1996، ص 21.
[6] محمد عابد الجابري، المشروع النهضوي العربي، مركز دراسات الوحدة العربية، بيروت، ط2، 1996، ص 177.
[7] محمد عابد الجابري، العولمة و الهوية، عشرة أطروحات، فكر ونقد/ مجلة الجابري، عدد 06، فبراير 1998، ص 07.
[8] عثمان أمين يطلق على هذا المصطلح، بالإستخراب، أما في لغة مولود قاسم نايت بلقاسم، فهو يطلق على هذا المصطلح بالإستدمار، وسنحاول أن نوضف هذه اللغة من خلال هذه المقالة.
[9] بشير بلاح، التدافعات الثقافية في الإستوغرافيا الجزائرية 1962-1998، جذورها والعوامل المؤثرة فيها، المرجع السابق، ص28.
[10] مصطفي الأشرف، الجزائر، الأمة والمجتمع، ترجمة حنفي بن عيسى، دار القصبة للنشر، الجزائر، ط1، 2007، ص416.
[11]بشير بلاح، التدافعات الثقافية في الإستوغرافيا الجزائرية 1962-1998، جذورها والعوامل المؤثرة فيها ، المرجع نفسه، ص 28.
[12] المرجع نفسه، 29.
[13] مصطفي الأشرف، الجزائر: الأمة والمجتمع، المرجع السابق، ص 429.
[14] المرجع السابق، ص 416.
[15] صالح بلعيد، الذاكرة والهوية في تماسك المجتمع، الملتقي الوطني التاسع حول حياة الرئيس الراحل هواري بومدين، ولاية قالمة، أيام 27-28 ديسمبر2017،.ص 01.
[16] المرجع السابق، ص 02.
[17] المرجع نفسه، ص02.
[18] عثمان شعبوب، (من اللغة تبدأ ثورة التجديد)، مجلة الأصالة ، الجزائر، عدد خاص بالتعريب، رقم 18/17، بتاريخ فيفري 1974، ص05.
[19] ولد مولود نايت بلقاسم في السادس من يناير 1927، في قرية بلعيال، بلدية أقبوا ولاية بجاية، أبوه محمد السعيد، وأمه حفصة با يموث، ما يميز هذه الأسرة هو كونها محافظة ومتواضعة في المال والعلم، توفي سنة 1992، مخلفا العديد من المؤلفات أهمها، الإنية والأصالة، أنظر: أحمد بن نعمان مولود قاسم نايت بلقاسم حياته وأثاره شهادات ومواقف، ط2، دار الأمة الجزائر، 1997، ص 32
[20] مولود نايت بلقاسم، إنية وأصالة، وزارة التعليم الأصلي والشؤون الدنية، مطبعة البعث قسنطينة، الجزائر، 1975، ص 104.
[21] مولود نايت بلقاسم، شخصية الجزائر الدولية وهيبتها العالمية قبل 1830، ج2، دار الأمة الجزائر، 2007، ص 366.
[22] مولود نايت بلقاسم، إنية وأصالة، المصدر السابق، ص 104.
[23] محاضرة ألقيت يوم 24 ماي 1968، في قاعدة المحاضرات الجامعية بدعوة من وزارة التربية الوطنية ، ونشرت في كل من "الشعب" "والمجاهد بالفرنسية"، ثم في "الثقافة" وأعديد نشرها في العدد الخاص بالتعريب 18/17، مجلة الأصالة ، لما فيها من مقاربات مع الأوضاع بعض الشعوب والدول الأخرى قديما وحاضرا، ولما تساهم في تصحيح بعض المفاهيم حول اللغة، أنظر: مجلة الأصالة العدد، 18/17، ص 49، ونشرت أيضا في كتاب الأنية والأصالة عن دار البعث قسنطينة سنة 1975، ونشر أيضا في دار الأمة، الجزائر، 2007.
[24] مولود نايت بلقاسم، إنية وأصالة، المصدر السابق ، ص 53.
[25] المصدر السابق، ص54.
[26] المصدر نفسه، ص 56.
[27] المصدر نفسه ، ص 58.
[28] مولود نايت بلقاسم، اللغة والشخصية في حياة الأمم، مجلة الأصالة ، الجزائر، عدد خاص بالتعريب، رقم 18/17، بتاريخ فيفري 1974 ،ص 57.
[29] مولود قاسم نايت بلقاسم، إنية وأصالة، المصدر السابق، ص58.
[30] المصدر نفسه ، ص 62.
[31] مولود قاسم نايت بلقاسم، إنية وأصالة، المصدر نفسه، ص 64.
[32] المصدر نفسه ، ص 21.
[33] المصدر نفسه، ص 21.
[34] الزهراء عاشور، الهوية اللغوية بين ساطع الحصري ومولود قاسم نايت بلقاسم – مقاربة في عصر العولمة- مجلة التراث، الجزائر، العدد 09، 2013، ص 13.
[35] مولود قاسم نايت بلقاسم، اللغة والشخصية في حياة الأمم، المرجع السابق، ص 67.

[36] المصدر نفسه، ص 68.
[37] محمد الميلي، ابن باديس وعروبة الجزائر، الطباعة الشعبية للمجلس، الجزائر، 2007، ص 50.
[38] مولود قاسم نايت بلقاسم، إنية وأصالة، المصدر السابق، ص 355.
[39] مولود قاسم نايت بلقاسم، شخصية الجزائر الدولية وهيبتها العالمية قبل 1830، ج2، المصدر السابق، ص 366.
[40] مولودقاسم نايت بلقاسم، ردود الأولية داخليا وخارجيا على غزوة نوفمبر، دار الأمة، الجزائر، 2007، ص 250.
[41] صالح بلعيد، الذاكرة والهوية في تماسك المجتمع، ص02
[42] المرجع نفسه، ص03.
[43] عبد الرزاق قسوم، (أنا جزائري أمازيغي، فأنا مسلم عربي)، جريدة البصائر، يوم 18- 24، ديسمبر 2017، العدد 889، الجزائر، ص 03.